واذا وجد هذان الرباطان وجب ان يوجد الاتحاد . واذا جرى الاتحاد وجب ان يكون فيما فيه خير الوطن ومرضاة الله وهو اتباع سنته تعالى في خلقه . وسنة الله في خلقه هي التقدم والارتقاء ودوس كلما يحول دونهما مخافة ان يقف الانسان فتدوسه الامم الآتية وراءه وتمر على جثته الى غاياتها فيعزو حينئذ الى الله تعالى ما يعلو عنهُ الله علوًّا كبيرًا .

وارتقاء هيئة كهيئتنا الشرقية لا يحدث دفعة واحدة بل بالتدريج فان الطفرة محال ومن لم يسر الى غرضه سيرًا طبيعيًا صعب عليه بلوغ هذا الغرض . والسير الطبيعي يقضي باتخاذ تربية النساء والنسل التربية الصحيحة وسيلة الى ذلك التقدم والارتقاء وهذا يفسر وضعنا كلمة جان جاك روسو عن النساء وكلمة جول سيمون عن المدارس تحت تينك الكلمتين في صدر المجلة

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لنسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيها من اهم ما يحتاج اليهِ الشرق الآن

المدارس والاخلاق

لا نحاول اظهار فضل التربية والتعليم ووجه وجوبهما فان ذلك قد اصبح في الشرق مشهورًا لا يحتاج الى برهان . فكلنا نعرف في جبل لبنان اولئك الفروبين البسطاء الذين منهم من يرهن املاكهُ و يبيع مقتنياته توصلا الى تعليم اولاده . وكلنا واقفون على ما لدى سكان سوريا من شديد الرغبة في تعليم اولادهم وتربيتهم حتى لقد تحمل هذه الرغبة بعض الاباء على احتمال مضض بعض المدارس الاجنبية لتعليم ابنائهم بل قد تحملهم على تقديم نفقات المدرسة على نفقات البيت الخصوصية فيحرمون انفسهم منها ليبذلها في سبيل تعليم اولادهم

اما في مصر فقد جاء وقت صمت فيه اذاننا لشدة صراخ الجرائد ودعوتها الى التربية والتعليم . وان في هذه الدعوة نهضة وطنية شريفة يحييها كل محب لخير الامم تحية الفرح والابتهاج . الا ان اصحاب هذه الدعوة الافاضل قد قصروا دعوتهم على حث الامة على فتح المدارس حاسبين انه يكفي لقتل الجهل انشاء مدرسة في كل قرية ومدرستين في كل بلدة ناسين ان الذي ينقص الشرق الآن هو انشاء الاخلاق لا انشاء المدارس

قال البرنس بسمارك عند عودته من باريز في سنة ٧٠ ظافرًا منصورًا — انا غلبنا فرنسا بمعلم المدرسة . وقد اصاب في قوله هذا من وجه واخطاء من وجه آخر . اما وجه الاصابة فالتأثير الشديد الذي يكون لمعلم المدرسة في تكوين روح الامة وتقوية هذا الروح . واما وجه الخطإ فوجود من هو اشد تأثيرًا من المعلم في تكوين روح الامة وتقويته وهو الام في العائلة . فبالله اي فائدة يرجى من التربية المدرسية اذا كان الولد لا يصل الى معلمه الا وجميع الرذائل الصغيرة والكبيرة متمكنة من اخلاقه وطباعه . ومعاذ الله ان نسمي تأثير المدرسة في الشرق تربية وما هو الا تعليم فقط . اما التربية فلا وجود لها في جميع المدارس الشرقية . ولا نحسب تربية قول المعلم لتلميذه الزم الصمت في مدة الدرس . لا تشتم . الزم الطاعة والادب . او تعليمه اصول مذهبه او اصول مذهب غير مذهبه فان هذه ليست الا نفخات ولد على سطح بحر عميق . واذا كانت نفخة الولد على سطح الاوقيانوس تؤثر في عمقه فان قول المعلم ذلك الكلام او ما اشبهه يؤثر في عمق نفس الولد التي هي اشد من الاوقيانوس عمقًا واكثر اتساعًا . وما التربية الحقيقية الا النزول الى اعماق تلك النفس البشرية واستئصال الجراثيم الفاسدة منها وغرس الفضائل فيها . هذه هي التربية الحقيقية اي التربية الادبية

ولا سبيل لنزول معلم المدرسة الى اعماق نفس تلميذه . بل لنفرض امكان ذلك فان هذا المعلم يجد تلك الاعماق مشغولة بمواد اخرى ليست بالمواد التي يريدها . فانه يجد جراثيم الكبرياء والاحتيال والاثرة والكذب وكل الرذائل

والنقائص معششة فيها متمكنة منها . ومع ذلك فاين هذا المعلم القادر على النزول الى اعماق نفس تلميذه . لا تبحثوا عنه في الكليات والمدارس الكبرى فانه قلما يفيدنا هنالك الفائدة التي يقدر عليها في المدارس الصغرى . ولا تبحثوا عنه في المدارس الصغرى لان التعليم فيها لا يناط على العالب الا بمن سدت في وجهه ابواب الرزق فاتخذ التعليم مهنة يأكل منها خبزه

فقبل الدعوة الى انشاء مدارس جديدة سواء في سوريا او في مصر يجب علينا اصلاح التربية المدرسية الحاضرة حتى يكون في استطاعة المدرسة اصلاح ما تفسده العائلة . هذا يصرف النظر عن الدعوة الى اصلاح التربية العائلية

اما هذا الاصلاح الواجب ادخاله الى مدارس الشرق بالاجمال فان كلمة واحدة تدل عليه وهي — انشاء الاخلاق الفاضلة وجعل هذا الامر اهم اغراض المدرسة

يقال ان جلالة ملكة الانكليز وضعت لاحدى المدارس جائزة سنية وعهدت الى قرينها البرنس البرت في حياته ان يعين الامر الذي يجب ان يجزى عليه بهذه الجائزة . ففرض البرنس هذه الجائزة للتلميذ الذي يكون اشرف اخلاقاً من جميع رفاقه . قال ناقل هذا الخبر وهو فرنسوي فلو كانت هذه الجائزة في احدى مدارسنا لمنحت للتلميذ الاسرع حفظاً والاقدر على سرد ما خزنته ذاكرته من القواعد والمبادئ اللغوية والبيانية

اما نحن فنقول ان هذه الجائزة لو كانت في مدارسنا لمنحت للتلميذ ذي النفس الاشد كسلاً والاقل حركة وهو ما يسمونه في المدارس بالسلوك الحسن . لو كانت هذه الجائزة في مدارسنا لاعطيت للطالب الاكثر حفظاً لقواعد الاشتقاق والتصريف والاعراب . لو كانت في مدارسنا لمنحت للتلميذ الذي يطيع معلميه طاعة عمياء مستمداً ارادته من ارادتهم . ذلك ان المدارس الشرقية من سوء حظ الشرق اكثر اعتماداً في تعليمها على القوة الذاكرة منها على القوة المدركة ومعلميها اكثر رغبة في ان يكون التلامذة آلات صماء في ايديهم من ان يكونوا مخلوقات حية بعقل وارادة مثلهم واقل التفاتاً الى اخلاق التلامذة من سائر المعلمين في الامم الاخرى . ولا نعني هنا في كلامنا المدارس الكلية فان هذه لا يرجى منها خير كبير بشأن التربية الادبية التي نحن بصددها الآن اذ ان النسل لا يصل اليها الا وقد اشتدت الواحه ورسخت بعض الرسوخ اخلاقه . وانما نحن نعني المدارس الابتدائية التي يلقى الى معلميها زمام تربية الشعب الادبية

ان كاتب هذه السطور قد مارس فن التعليم ثلاث سنوات في مدرسة كان يدير زمامها في سوريا فاذا تكلم عن التربية والتعليم فانما يتكلم عن خبرة ومزاولة . وقد زار اكثر المدارس من يافا واورشليم وبيت لحم الى مرسين وترسوس واضاليا في الاناضول فرأى فيها كلها فساد التربية الابتدائية وعجز اكثر المعلمين الذين يلقى اليهم زمام الصبوة عن تدريبها تدريباً حسناً يكفل بابلاغها الدرجة الادبية الواجب عليها بلوغها . قد رأى التلامذة في بعض تلك المدارس تعامل معاملة الانعام من حيث الشدة والقسوة واهمال التربية الادبية . قد رأى اناساً يجلسون في كراسي التعليم التي جلس فيها افلاطون وارسطو ويلقبون بلقب « معلم » وليس لهم من وسائل التعليم غير العصا في اليد والشتم والسب في الفم . فحرام والف حرام ان تدفع النسل الناشئ الى من لا يحسن تربيته بل الى من يزيد فساده فساداً . ولا نتكل في ذلك على المدارس الكبرى فان الحطب هيهات ان يلين اذا اردت تقويمه بعد حين

فالذي يجب على محبي خير مصر والشام بل خير الشرق كله ان يدعوا ابناء وطنهم وبلادهم الى اصلاح طرق التربية الابتدائية في مدارسهم والا لم تجدهم نفعاً الوف المدارس يفتحونها في كل مكان ويدخلون اليها كل ما للامة من الفتيات والفتيان . ومدار اصلاح طرق التربية اختيار المعلمين والعناية باخلاق التلامذة وتقديم تربية العقل على تربية الذاكرة واتباع الفيلسوف جول سيمون الذي قال في كتابه « الله والحرية والوطن » — ليس من وظيفة المدرسة تعليم العلوم فقط فان تعليم الفضيلة والاقدام من اخص واجبات المدرسة

﴿ المعلم والتربيـــة ﴾

في الصبي الداخل الى المدرسة ثلاث قوى . القوة البدنية . والقوة العقلية . والقوة النفسية او الروحية وهي ما يسميه علماء الاخلاق القوة الادبية . فمن وظيفة المدرسة اذاً

العناية بتلميذها بدنياً وعقلياً وروحياً اي من وظيفتها التربية البدنية والتربية العقلية والتربية الروحية .

اما التربية البدنية فهي العناية بوقاية البدن وتقويته . والتربية العقلية هي تغذية العقل وتوسيع نطاقه وانماء قواه . والتربية الروحية هي تهذيب قوى النفس الناطقة وترقيتها وانارتها بنور الضمير الالهي . ولا يسمى الانسان انساناً ولا يكون كاملاً الا اذا كملت فيهِ هذه التربيات الثلاث البدنية والعقلية والروحية . ربّ ابنك تربية عقلية وروحية واهمل تربيته البدنية تجدهُ ينشأ ضعيفاً لا يستطيع جسمه النحيف مجاراة نفسه الكبيرة . ربّه تربية بدنية وعقلية واترك تربيته الروحيه تجعلهُ طماعاً قاسياً شرهاً الى الكسب من اي وجه كان لا يعبد غير المادة ويحتقر كل فضيلة وكل صلاح ادبي . ربّه تربية بدنية وروحية واهمل تربيته العقلية يكن مخلوقاً قاصراً لا يستطيع المعيشة في هذه الحياة لضيق نطاق عقله وصغر مداركه .

فلا بدّ اذاً من تربية الانسان على ثلاثة وجوه بدنياً وعقلياً وروحياً حتى يكون كاملاً . واذا نقصت تربيته احد هذه الوجوه كان انساناً ناقصاً .

وكل من هذه الاقسام الثلاثة يقتضي معرفة مخصوصة وعلماً مخصوصاً . فان التربية البدنية تقتضي العلم باصول الهيجيين ووظائف الاعضاء والمعرفة بوسائل الوقاية والتقوية . والتربية العقلية تستوجب العلم الغزير والاطلاع الواسع والتربية الروحية تستلزم معرفة واسعة بعلم البسيكولوجيا (علم الاخلاق والنفس) وفضيلة باهرة ومراقبة مستمرة تضع العقاب في موضعه وحسن الجزاء في موضعه بدون ضعف ولا شدة من غير رخاوة ولا قساوة .

هذه هي اصول التربية والتعليم . هذه هي الشؤون التي يجب القيام بها في المدرسة . ولكن بمن يناط القيام بهذه الشؤون العظيمة .

رأينا في بعض الجرائد اعلاناً من احدى المدارس فيه ما يأتي — يطلب لمدرستنا استاذ ماهر لتدريس اللغة الانكليزية والجوغرافيا والحساب والهندسة والفلسفة الطبيعية براتب قدرهُ .... أتعرفون قدرهُ ؟ — قدرهُ ٣٥٠ غرشاً . وحتى لا يظن ان في هذا العدد خطأ مطبعياً نعيدهُ فنقول انهُ ثلاثمائة غرش وخمسون غرشاً مصرياً .

بهذا الفتى المسكين الذي يعطى ٣٥٠ غرشاً ليدرّس الهندسة والفلسفة الطبيعية والجوغرافيا ... بهذا الفتى تناط تلك الشؤون العلمية والادبية والفلسفية الكبرى واليه تلقى أزمة النفوس يديرها كيف يشاء . لقد عذلناهُ في الفصل السابق وهنا نعذرهُ باخلاص وشفقة ولا نعذلهُ وانما نعذل اولئك الذين يحسبون النفوس البشرية انعاماً كل من سلموهُ رعايتها جاز ان يكون لها راعياً . وما المدرسة الا عالم ونفس كل تلميذ فيها مملكة واسعة شاسعة يقصر المعلم عن رعايتها وحدها . وهذه الرعاية فنٌّ عظيم مستقل بنفسه يعلم في مدارس مختصة بتعليم التعليم فمن الحمق والخرق في الرأي ان نبيحها لكل من يتصدّى لها . فارسلوا الى الحقول او الى الحوانيت التجارية اولئك المعلمين الذين لم يخلقوا للتعليم فانهم ينفعون الهيئة الاجتماعية في الزراعة والتجارة من غير ان يضروها اما في المدارس فمن سوء حظنا وحظهم قد يكون نفعهم اقل من ضررهم .

والمعلمون في مجالسهم في كرسي افلاطون على احدوجهين . فاما انهم يشعرون بمسئولية وظيفتهم واما انهم لا يشعرون . فاذا كانوا يشعرون بمسئوليتهم و بثقل التبعة الادبية التي القيت على عواتقهم يوم اتخذوا اسم « معلم » لقباً لهم فهؤلاء هم الذين يرجى الخير على يدهم وهؤلاء هم الذين نحتاج اليهم في المدارس الابتدائية للتربية البدنية والعقلية والروحية . ولكن هل يقبل هؤلاء الافاضل خدمة النسل بتلك الرواتب التافهة . لا ريب عندنا ان هذه الرواتب التافهة تبعد عن فن التعليم كل ذي مقدرة عليه وقوة على الافادة فيه و بعبارة اوضح انها تبعد عن المدارس المعلمين الحقيقيين وتسوق اليها الكسالى والمرتزقين .

فاذا اردتم اصلاح حال التربية المدرسية ونقوم اعوجاج المدارس فاصلحوا اولاً حال المعلمين . واذكروا حين انتقائهم لمدارسكم انكم تنتقونهم لتربية الامة و بث الفضيلة والاقدام في روح اولادها الاحشو الذاكرة بقواعد الاعراب والتصريف والحساب .

متى امتلأت المدارس فرغت السجون ولا تمتلئ المدارس الا اذا كان التعليم اجبارياً

الامة التي لها ارقى المدارس تكون ارقى الامم ان لم يكن في الحاضر ففي المستقبل